

الدؤوب عن أسرار الكون وأسرار نفسه وحقيقتها كإنسان . هذا المنحني الفكري هو الذي يبنينا بأن تحولاً جذرياً قد حدث في خط القصة الأسطورية وسيتولد عنه بعد جديد . عند هذا الحد تتحول الشخصيات والأحداث والمواقف إلى رموز ، وتحلل توفيق الحكيم من الأحداث والوقائع ويصل حداً من التجريد بعيد المدى ، حيث تنعدم الحركة الخارجية تقريباً لكن الصراع الداخلي ممثلاً في الحركة النفسية يصل ذروته ، وفي ذلك إمكانية درامية أعظم من الامكانات التي توفرها الحركة الخارجية . ويغدو الصراع لا بين الشخصيات بعضها البعض أو بين الشخصيات وشيء آخر خارجي عنها ، كما تجسده الأسطورة نفسها أو مسرحية سفوكليس ، بل يتركز داخل الشخصية نفسها ، بين العقل والقلب بين الحقيقة التي يدركها العقل بمقاييسه ، وبين الحقيقة الوجدانية التي يدركها القلب بمنطقه الخاص . ويغدو أوديب وجوكاستا ، وترسياس شخصيات رمزية ، أشبه ما تكون بشخصيات أهل الكهف ، بل أن العبارات التي ترددها الشخصيات في كلا المسرحيتين تتشابه فيما بينها ، وتكاد تكون نفسها ، على نحو ما سيتضح لنا .

هذه الحقيقة التي اكتشفها أوديب ، وهي أنه قتل أباه وتزوج أمه لم يستخدمها توفيق الحكيم في مسرحيته إلا باعتبارها رمزاً للحقيقة العقلية ، مثل حقيقة الزمن التي اكتشفها أهل الكهف . وهي قوة قدرية تكمن داخل الإنسان نفسه ، وتجعله يدور في إطار النواميس الطبيعية ولا يستطيع الخروج من أسرها ، في حين يتيح له الحلم أن يحطم كل الحواجز والاسوار . ولذا ينبغي أن نأخذ الأمور على هذا الأساس وأن نتذكر دائماً أننا إزاء شخصيات رمزية ، ولا ينبغي أن يكون تصرفها وفقاً لطبيعة الواقع وما يقتضيه ، بل من المنطق أن تسير وفقاً للتجربة التي تعبر عنها ما دام الكاتب قد حدد مسار هذه التجربة ، ورسم لها أبعادها ، ومن ثم فلا مجال للاعتقاد بأن توفيق الحكيم يقصد إلى استمرار العلاقة الائمة بين الأم